



تحية من على سرير المرض، مازال يواصل ممارسته، مواظباً على الكتابة عن «ثلاثة يحبهم». الشاعر الأشهر في تونس، لم تغب أصوات البسطاء والحمام والبحر والرعاة عن قصيدته التي هي ترجيع ليقام الحياة ونبضها

محمد الصغير أولاد أحمد... تونس الأخرى ورمادها

تونس - نور الدين بالطيب

«خُصنا حروباً عديدة ضد استبداد الإدارة واستبداد الدولة واستبداد النقد الأدبي والتأويل الديني. لم نتحصر بالكامل، ولم ننهزم بشكل حاسم. وما نحن الآن نخوض حرباً مع مرض أسي لا يحسن القراءة والكتابة. لا نحمل المسؤولية لأحد من هذه البلاد التي أحببناها صباحاً

**نجم في ان يكون اول شاعر
تونس في بعد ابي القاسم الشابي
يحفظ البسطاء قصيدته**

مساءً ويوم الأحد، في انتظار أن تحبنا هي بدورها إذا وجدت يوماً شاغراً في أيام الأسبوع. شكراً لكل من استخبر وسأل وواسى. شكراً للطبيبات والأطباء. نلقاكم بخير». بهذه الكلمات المكثفة والغارقة في

الأسى، أعلن الشاعر محمد الصغير أولاد أحمد لمحبيه نبأ إصابته بالسرطان الذي اكتشفه الأطباء قبل ثلاثة أشهر، وبدأ سلسلة جلسات العلاج الكيميائي في أول نيسان (أبريل) الذي يصادف عيد ميلاده (مواليد 4 نيسان 1955). لم يخف الشاعر التونسي الأكثر شهرة من المرض. ما هو يواجهه بشجاعة متردداً على المستشفى العسكري في تونس من دون التخلي عن كلماته ولا نصوصه. ولم يمنعه المرض الشرس «الأمي لا يحسن القراءة والكتابة» كما سماه - من المحافظة على عاداته في التجول في تونس التي سكنت نصوصه الشعرية، وعاش في شوارعها وخاناتها ومقاهيها وأسواقها معظم سنواته الستين منذ أن جاءها أواخر 1979 شاعراً مغموراً ليصبح في سنوات قليلة نجم المجالس والأمسيات الشعرية والتظاهرات النقابية والطلائية وصوت اليسار التونسي. من مدينة سيدي بوزيد التي

من نوفمبر) الذي ألقاه بن علي حال توليه السلطة. بدأ أولاد أحمد ثورته باكراً ضد البيروقراطية الإدارية في وزارة الثقافة وضد مثقفي السلطة، فسُجن عام 1985 في سياق الأزمة النقابية بين «الاتحاد العام التونسي للشغل» والحكومة. أمضى شهراً في السجن وفصل من عمله الذي لن يعود إليه إلا مطلع التسعينات عندما أسس «بيت الشعر» عام 1993 الذي أقبل منه سنة 1997. من يومها، عاد أولاد أحمد إلى الشارع الذي يعرفه جيداً، إذ كان «يسكن في الشارع وينام في بيته» كما يقول عن نفسه.

نجح في أن يكون أول شاعر تونسي بعد أبي القاسم الشابي يحفظ البسطاء قصيدته «حب البلاد/ كما لا يحب/ البلاد أحد/ نحج إليها/ مع المفردين/ عند الصباح/ وبعد المساء/ ويوم الأحد/ ولو قتلونا/ كما قتلونا/ ولو شردونا/ كما شردونا/ ولو أبعدونا/ لبرك الفخاد/ لعدنا غزاة/ لهذا البلد». بهذه القصيدة يتغنى الشباب والطلبة والعمال. لقد تحولت قصيدته نشيداً ثانياً، ولحنها وغناها عدد من الفنانين مثل الزين الصافي، ومحمد بحر كما غنتها صوفية صادق إحدى نجوم الغناء في تونس.

اليوم، يبدو أولاد أحمد هادئاً. بُحّ صوته من كثرة النقاش مع «وزراء الله» كما سماهم لينين، وكلاء الله على الأرض من جماعة الإخوان المسلمين ومشتقاتهم الذين اعتدوا عليه مراراً منذ الثمانينات وصولاً إلى سنة 2012 حين نال نصيبه من «ثقافة أولاد الغنوشي» كما قال مرة في إشارة إلى المقولة الشهيرة لرزيم حركة «النهضة» راشد الغنوشي بأن السلفيين يبشرون بثقافة جديدة. لا يوجد كاتب تونسي عانى ما عاناه أولاد أحمد من قبضاتهم المفتولة وحملات التشويه على شبكات التواصل الاجتماعي ومنابر المساجد، إذ تم تكفيره ونعته بأبشع النعوت، حتى عندما أعلن مرضه، لم تتوقف آلة التشويه الإخوانية التي وصلت إلى حد الشماتة!

ورغم أن أولاد أحمد استقبل مجموعة من قيادي «النهضة» في بيته، إلا أن قواعدهم لم تتوقف عن شتم الشاعر الذي ندد بطريقتهم في احتكار الحديث باسم الله وباسم الإسلام، وكان قد دعا الله منذ الثمانينات إلى تمزيق تذاكر دخولهم إلى الحنة في قصيدته «أدعية» من مجموعته الثانية (لبس لي مشكلة): «إلهي/ لقد تمّ بيع التذاكر للأخرة/ ولم أجد المال، والوقت، والغدز/ كي أقتني تذكرة/ فمرق تذاكرهم يا إلهي/ ليسعد قلبه/ ألم تعد الناس بالمغفرة».

لم يتغير أولاد أحمد منذ أن جاء من سيدي بوزيد شاباً حاملاً غاضباً، بنفس التوهج والتعلق بالحياة يستقبل أصدقائه ويستقبل وزراء ومستشاري الرئيس ورجال أعمال

وطلبة وناشطات في الحركة النسوية وسياسيين من كل الأطياف ونقابيين. رغم شراسة المرض، ما زال يتجول مع ابنته الصغرى كلمات (8 سنوات) في الأسواق والشوارع غير عابئ بالمرض الذي يعتبره إحدى معاركه، قد يخسرها وقد يربحها إلى حين، ف «الموت» هو أحد ثلاثة يحبهم كما قال في قصيدته الأخيرة التي كتبها قبل أسبوع في المستشفى العسكري في تونس: «الطابق التاسع/ المستشفى العسكري/ تونس 16 جوان 2015/ قسم الأمراض الصدرية والحساسية/ أحد ثلاثة ماتوا: أبي/ والموت/ والشعر العظيم/ أجل ثلاثة عاشوا/ الحياة/ وبنيتها/ ومضارع الأفعال في النحو القويم/ أطل على الحقيقة: فوهة جبلية/ لا الرمل يُشبعها/ ولا الماء العميم/ أقل على السفينة نُشختين من البلاد/ وخيمة/ أغفو بها/ وأنا أحلق، كالفراشة، في السديم/ ألح على الفواصل والنقاط/ لأنني لا حرف لي غير الفواصل والنقاط/ سماؤنا مشكولة أيضاً/ ولا لغة لها منذ القديم/ أعد طعام من بيكون حولي/ صادقين/ وكاذبين/ وعاشقين/ وشامتين/ وقارئ القرآن لا أنساء/ يختصر الوثائق و«المغيرة» هكذا: ألف/ لام/ ميم/ أصر على اعتبارك نسخة أصلية مني/ وأني أنت جنت بالتحديد/ لولا فارق في فهم جنت النعيم/ أقر بأنهم طمعوا بما نعد الحياة/ فكان/ أن عاشوا حياة... كالجحيم»

مرض أولاد أحمد تحول إلى حدث يخيم على الشارع، فهو ظاهرة تونسية حول الشعر من مجرد نص يكتب في الصالونات إلى إيقاع حياة. في كل أعماله الشعرية والنثرية التي دشنها ب «نشيد الأيام الستة» (1984) - لم يصدر إلا في 1988)، لم تغب أصوات البسطاء والحمام والبحر والرعاة الذين عاش معهم طفولته، فشعره إيقاع الحياة ونبضها. لم يتخل عن أي معركة سياسية أو نقابية في البلاد: أحداث الخبز عام 1984، الأزمة النقابية عام 1985، وفي التسعينات بعد مغادرته «بيت الشعر» بسبب مواقفه وتصريحاته وانحيازها للحركة الديمقراطية في مواجهة بن علي وصولاً إلى الاحتجاجات الشعبية التي أنهت نظام بن علي. كان دائماً ضد السلطة لإيمانه بأن دور المثقف هو التنديد بالسلطة والانتصار للناس.

لم ينجح المرض في التأثير على معنوياته، لكن هناك شيء من الأسى يشعر به. لقد عاش حياته في معركة ضد البيروقراطية والاستبداد، وناله التشرد والقمع والحرمان من العمل بسبب مواقفه السياسية. لكن ذلك قدر المثقف الذي يرفض هدايا السلطان المسمومة ومصيره، فأولاد أحمد هو «تونس الأخرى ورمادها» كما وصف نفسه.



Zouk Mikael
International Festival

www.zoukmikaelfestival.org

July sounds great



JUL 23
ZIAD RAHBANI

JUL 25
A TRIBUTE TO OUM KOULTHOUM

BY YASMINA, (THE FINALIST IN ARABS GOT TALENT) SARA AND YASMINE FROM EGYPT, ACCOMPANIED BY THE LEBANESE NATIONAL ORIENTAL ORCHESTRA CONDUCTED BY MAESTRO SELIM SAHAB.

JUL 28
ONE NIGHT ON BROADWAY

BY ROY KHOURY MORE THAN 50 ARTISTS ON STAGE FEATURING: MANEL MALLAT, KRISTIAN ABOUANNI, ANDREA BOU NEHME, CORINE METNI, THE SWINGING SISTERS AND GUEST STAR NADA ABOU FARHAT. ORCHESTRA CONDUCTED BY KAMAL SAIKALY.

MAIN SPONSOR **FNB**
FIRST NATIONAL BANK

IN ASSOCIATION WITH **alfa**
ORION TELECOM

SPONSORED BY

Bank Audi **mtv** **solidere** **MEA** OFFICIAL CARRIER **AROPE** INSURANCE **FOUR SEASONS HOTEL Beirut**

TICKETS SOLD AT: **BOUERI PRESS**
Kaslik tel: 09 210 660

TICKETS IN BOOK OFFICE
All Branches Tel: 01 999 666